



لم يعد خافياً على كل ذي لب وعقل وضمير حي ما نزل بأهلنا وإخوتنا في الشام من بلاء شديد وقتل وتدمير وإبادة تعجز الكلمات عن تصويرها.. الأمر الذي يتطلب النجدة وحشد الطاقات لتلافي الآثار الخطيرة التي قد تتجمّع عن ذلك.

وهاكم ما ذكره ابن كثير - رحمه الله - في البداية والنهاية: "أن عمر عس المدينة ذات ليلة في عام الرمادة فلم يجد أحداً يضحك، ولا يتحدث الناس في منازلهم على العادة، ولم يجد سائلاً يسأل، فسأل عن سبب ذلك، فقيل له: يا أمير المؤمنين، إن السؤال سأله فلم يعطوا فقطعوا السؤال، والناس في هم وضيق، فهم لا يتحدثون ولا يضحكون. فكتب عمر إلى أبي موسى بالبصرة: أن يا غوثاً لأمة محمد. وكتب إلى عمرو بن العاص بمصر: أن يا غوثاً لأمة محمد. فبعث إليه كل واحد منهما بقافلة عظيمة تحمل البر وسائر الأطعمة. وهذا الأثر جيد الإسناد".

مجاعة أصابت الناس أرقت نفس عمر الزكية فاستنفر الأقاليم المجاورة، فلم يقر له قرار حتى أزال آثار المجاعة، وطلب الغوث حتى أشبع الناس.

والقرآن الكريم يقصصه وعبره يشحد العزائم، وينبه للخطر الداهم، ويستحث النفوس ويستنفرها لتلافي الخطوب المحدقة.. يقول الفقيه المحدث العابد الوزير العباسى الصالح ابن هبيرة الدورى في قوله - تعالى - : {وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ..}: "تأملت ذكر أقصى المدينة، فإذا الرجال جاءوا من بعد في الأمر بالمعروف، ولم يتقاعوا بعد الطريق". وأقصى المدينة جاء في قصة موسى - عليه السلام - عندما تأمر عليه الملايين ليقتلواه، وفي خبر مؤمن آل ياسين عندما أجمع أصحاب القرية على رجم المرسلين أو إذاقتهم العذاب الأليم.

إن نفسها ترضي الإسلام ديناً *** ثم ترضى بعده أن تستكينا
أو ترى الإسلام في أرض مهيناً ** ثم تهوى العيش نفس لن تكوننا

في عداد المسلمين العظام:

لما تولى نور الدين زنكي الخلافة رئي متوجهماً، وأراد العلماء والفقهاء التخفيف عنه لما يعلمون من صلاحه وقواده، حتى جعل المفتى في الجامع الأموي بدمشق خطبته عن التبسم بعد أسبوع من تجهمه وتوليه السلطة، وظل نور الدين زنكي متوجهماً. فسألـه العلماء بعد صلاة الجمعة وقد اجتمعوا به عن سبب تجهمـه؛ فقال لهم: "والله إني لأشتحي من الله أن يرانـي مبتسمـاً وفي ديار الإسلام قدم لكافـر.. أـتريـدـنيـ أنـ أـبـتـسـمـ والـقـدـسـ بـيـدـ الـنـصـارـىـ؟ـ أـتـرـيـدـنيـ أنـ أـسـرـ والـمـسـجـدـ الـأـقـصـىـ بـيـدـ الـنـصـارـىـ؟ـ لـاـ وـالـلـهـ!!ـ

هؤلاء هم الرجال العظام الذين كانوا لهم بصمات واضحة مؤثرة في حركة التاريخ، وهم الذين يستحقون رحمة الله.. {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمُ أَوْلَيَاءِ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَقُيَّمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيِّرَحُمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبه: 71]. هم الذين يعين بعضهم بعضاً، ويوالى بعضهم بعضاً خصوصاً في أيام الشدائـد والمحن.. روى البخاري.. "قال إبراهيم - عليه السلام - : يا إسماعيل، إن الله أمرني بأمر.. قال فاصنع ما أمر ربك، قال: وتعينني؟ قال: وأعينك؟؛ لا كال الخليفة العباسـي الناصر لـدين الله - الذي ورد ذكره في كتاب النجوم الظاهرة في ملوك مصر والقاهرة - لما دخلت التـتار البلاد وملـكوا من ما وراء النــهر إلى العراق، وقتلوا تلك المقتـلة من المسلمين، التي ما نــكــب المسلمين بأعــظم منها، دخل الوزير على الخليفة الناصر لــدين الله فقال له: "آه يا مولانا؛ إن التــتــار قد مــلــكــتــ البلاد وقتلــتــ المسلمين!"؛ فقال له النــاـصــر لــدين الله: "دعــني أنا في شيء أــهم من ذلك! طــيرــتي البلــقاء لي ثلاثة أيام ما رأــيتها".

لا بأس عند هذا الخليفة بلid الإحساس والشعور أن تباد الأمة، وتزول الخلافة، وتصبح الأمة رهينة بيد أعدائها، من أجل شهوة باردة.

أمةَ العُربِ أَمَّةُ الْمَجَدِ مَا دَهَا *** كِيْ وَأَيْنَ هُمْ ذُوو النُّفُوسِ الْأَبِيَّةِ
أَيْنَ أَحْفَادُ خَالِدٍ وَصَلَاحٍ *** أَيْنَ أَتَبَاعُ سَادَةَ الْعَبْرِيَّةِ؟
أَمَّةَ الْعُربِ هِيَ وَاسْتَعِيدِي *** ذُرْوَةَ الْخَيْرِ وَالْحَيَاةِ الرَّضِيَّةِ
لَا يَرِدُ الْحَقْوَقُ إِلَّا رِجَالٌ *** وَكَتَابٌ يَعْزِزُ الْبَنْدِيقِيَّةَ

ومن أجل خدمة الأمة نوع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - طرق الخير المعينة على إعانة كل ضعيف ليقوم كل فرد بما يستطيع من جهد.. روى الترمذى عن أبي ذرٍّ - رضي الله عنه - قال: قال رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ((تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصَرُكَ لِرَجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطُتُكَ الْحَجَرَ وَالشُّوْكَةَ وَالْعَظَمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْراغُكَ مِنْ دَلْوَكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ)). قال الترمذى: "حسن غريب"، وقال الأرنؤوط والألبانى: "صحيح". واستلهم الشيخ الشعراوى - رحمه الله - من قبس النبوة ففاض فؤاده وبيانه بهذه الآيات الشعرية المعبرة عن إحساس المؤمن، فقال أياًًاً يستنهض العزمات لنجدۃ البوسنة، واستنقاذها من مخالب الصربي:

فيا أيتها الأمة الإسلامية.. يا أصحاب النجدة والكرامة.. يا أحرار العالم.. يا أصحاب الضمائر الحية.. يا غوثاً لأمة محمد في بلاد الشام المباركة.

المصادر: